الرسالة

(أعمال الرسل ٩:٣٢-٤٣)

في تِلكَ الأيامِ فيما كانَ بُطرُسُ يَطوفُ في جميعِ الأماكنِ نَزَلَ أيضًا إلى القدِّيسينَ الساكِنينَ في لُدَّة* فوجَدَ هناكَ إنسانًا اسمهُ أينِياسَ مُضطَجِعًا على سريرٍ منذُ ثماني سِنينَ وهوَ مُخلَّعٌ* فقالَ لهُ بطرُسُ يا أينياسَ يشفيكَ يسوعُ المسيحُ قُم وافترِشْ لنفسِك. فقامَ للوقت* ورآهُ جميعُ الساكِنينَ في لُدَّة وسارُونَ فرَجَعوا إلى الربِّ* وكانت في يافا تِلميذَةٌ اسمُها طابيتا الذي تفسيرُهُ ظَبْية. وكانت هذه مُمتَلِئَةً أعمالاً صالحةً وصَدقاتٍ كانت تعمَلُها* فحدَثَ في تِلكَ الأيامِ أنَّها مَرِضَت وماتَت. فَغَسَلوها ووضَعُوها في العِلِيَّة* وإذ كانت لُدَّةُ بقربِ يافا وسَمعَ التلاميذُ أنَّ بطرُسَ فيها أرسلُوا إليهِ رجُلَيْن يسألانِهِ أنْ لا يُبطِيءَ عن القدومِ إليهم* فقامَ بطرُسُ وأتى معَهما. فلمَّا وَصَلَ صَعِدوا بهِ إلى العِلِيَّة ووقَفَ لديهِ جميعُ الأراملِ يبكينَ ويُرينَهُ أقمِصةً وثيابًا كانت تصنَعُها ظَبيَةُ

الاضطهادات في القرون الثلاثة الأولى

يرتبط اسم القديس والامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧) الذي تعيّد له الكنيسة المقدّسة في الحادي والعشرين من شهر أيار بما يُدعى مرسوم ميلان، وهو وثيقة أصدرها قسطنطين الكبير في العام ٣١٣ يمنح بموجبها المسيحيين رسميًّا حريّة التجمّع والعبادة وممارسة الشعائر الدينية وبناء الكنائس. وقد أتى هذا المرسوم بعد ثلاثة قرونٍ عانى خلالها االمسيحيون من اضطهاد السلطات الرومانيّة إيّاهم في شكل رسميّ أو غير رسميّ. والحقّ أنّ اضطهاد المسيحيين أتى متقطعًا ومحلّيًا في القرنين الأول والثاني إذ لم يقم به كل الأباطرة على حدٍّ سواء ولم يشمل كل أرجاء الإمبراطوريّة الرومانيّة. غير أنّ الأمر اختلف في القرن الثالث. فلقد بادر الإمبراطور ديكيوس (٢٥١-٢٥٣) فور تسلّمه السلطة إلى شنّ اضطهاد واسع النطاق ضد المسيحيين شرقًا وغربًا لم يقصّر مدّته إلاّ موت الإمبراطور نفسه. أمّا أشنع اضطهاد وأكثره انتشارًا وعنفًا فكان ذاك الذي قام به الإمبراطور ديوكليتيانوس (٢٨٤-٣٠٥) طيلة عهده محاولاً، في شكل مركّز، كسر ساعد المسيحية التي كانت قد تأصّلت في التربة المجتمعية الرومانيّة مجتذبةً أعضاء ينتمون إلى شعوبٍ مختلفةٍ وطبقاتٍ اجتماعيّة شتّى، إذ لم يعد هناك أيّ قطاع سياسيّ أو اجتماعيّ لا تجد فيه مسيحيين، إن بين عليّة القوم أو في الجيش أو في صفوف التجّار أو عامّة الشعب أو العبيد.

العدد ٢٠٠٣/٢٠
الأحد ١٨ أيار
أحد المخلّع
تذكار القديسين الشهداء بطرس وديونيسيوس وخريستينا وإندراوس وبولس وبناديمس وبفلينوس وإيراكليوس (هرقل)
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الخامس

ما هي الأسباب التي دعت السلطات الرومانيّة إلى اضطهاد المسيحيين دون سائر الدعاة إلى أفكار دينيّة جديدة، رغم أنّ معظم المسيحيين كانوا بلا لوم على الصعيد الأخلاقيّ وأنّ الدعاة الدينيين لم يكونوا قلّةً في صخب المجتمع الرومانيّ الذي كان يضمّ تنوعًا قلّ نظيره في العرق واللغة والفكر والدين؟ أغلب الظنّ أنّ السبب المباشر كان تحدّي المسيحيين السلطة الرومانيّة عبر رفضهم تقديم الذبائح للإمبراطور. والثابت أنّ الدين الوثنيّ الرومانيّ راح بدءًا يُطلق صفة الألوهة على الأباطرة بعد موتهم. ثمّ تحوّل هذا إلى عبادة للأباطرة الأحياء بوصفهم آلهة، وتعبّر هذه العبادة عن ذاتها

بتقديم القرابين لهم وإطلاق ألقاب عليهم مثل «ربّ» و«إله». لقد استهجن المسيحيون هذه الممارسة رافضين القيام بها ومعتبرين أنّها تنافي إيمانهم بيسوع الناصريّ الذي هو وحده، في نظرهم، ربّ وإله، كما عبّر عن ذلك بأجلى بيان الرسول توما في إنجيل يوحنا بعد ظهور السيّد له قائمًا من بين الأموات (يو ٢٨:٢٠). ولقد رأى الساسة الرومان أنّ هذا الرفض هو بمثابة تمرّدٍ على سلطة الإمبراطور السياسيّة، ما دفع بعضهم إلى الاقتصاص من المسيحيين الرافضين تقديم الذبائح للإمبراطور وإذاقتهم شتّى صنوف الترهيب والتعذيب حتى الموت أحيانًا.

بيد أنّ تمنّع المسيحيين عن تقديم الأضاحي للملك الرومانيّ كان يحمل في طيّاته ما هو أبعد من رفضهم أيّ نوعٍ من الموازاة بين يسوع والإمبراطور. فالظاهرة المسيحيّة، كما اختبرها الرومان في القرون الثلاثة الأولى، كانت، عن حقّ، تعيد النظر في البنية السياسيّة الرومانيّة مهدّدةً بتقويض النظام الدينيّ الذي تقوم عليه الإمبراطورية. ولقد أدرك أباطرة مثل ديكيوس وديوكليتيانوس هذا الأمر، ما أدّى بهما إلى شنّ حملات واسعة ضدّ المسيحيّة. لقد كانت الإمبراطورية الرومانيّة، كوحدة جغرافيّة وسياسيّة، تقوم على دين الوثنيين اللاتين (أي في الأصل سكّان روما وضواحيها) الذي يتزعّم فيه الإله الأكبر المدعو جوبيتر مجمع الآلهة. وظيفة هذا المجمع كانت ضمان استمرار الإمبراطوريّة وتأمين غلبتها على الشعوب البربريّة التي تهدّدها. وفي كل مرّةٍ كان الرومان ينتصرون فيها على شعوب أخرى غريبة، كانت آلهة هذه الشعوب المهزومة تصبح جزءًا من مجمع الآلهة على أن تبقى الزعامة فيه للآلهة الرومان. بكلماتٍ أخرى، لم تكن هزيمة الشعوب التي استعمرها الرومان تعني فقدانها آلهتها، بل صيرورة هذه الآلهة، إذا جاز التعبير، آلهةً من الدرجة الثانية ضمن مجمع يسيطر عليه جوبيتر وأترابه. هذا يدلّ على أن الديانة الرومانيّة كانت قادرة على استيعاب ديانات الشعوب الأخرى بطريقة تضمن، من جهة، التعدّد الدينيّ في المجتمع، ومن جهة أخرى، سيطرة العنصر الرومانيّ ووحدة الإمبراطوريّة. من هنا، يكتسب رفض المسيحيين هذه المنظومة الدينيّة أهميّة خاصّةً لأنّه كان يعني، في المطاف الأخير، رفض الأساس الدينيّ الذي تقوم عليه الإمبراطورية وتهديدًا لها في وجودها وبقائها. فالمسيحيّون لم يقبلوا يومًا أن يصبح الإله الذي يعبدونه جزءًا من مجمع الآلهة الرومانيّ. لقد رفضوا فكرة مجمع الآلهة جملةً وتفصيلاً معتبرين أن لا ربّ إلاّ يسوع المسيح ولا إله سواه. يضاف إلى هذا أنّ إلههم لم يكن مرتبطًا بقوميّة معيّنة أو بعرق معيّن. فبعكس الآلهة الأخرى التي كانت تخصّ شعبًا معيّنًا، كآلهة الفينيقيين والمصريين واليونان مثلاً، كان يسوع المسيح إلهًا لكل من يؤمن به ويعتمد على اسمه بقطع النظر عن انتمائه العرقيّ. هذا كلّه جعل السادة الرومان يستشعرون الخطر الذي يتهدّد نظامهم السياسيّ بسبب المسيحيّة الرافضة أن تتبنّى الأساس الدينيّ لهذا النظام، ويسعون، تاليًا، إلى القضاء عليها.

ينتج من هذا أنّ مرسوم ميلان الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين الذي ستُعيِّد له الكنيسة في الأسبوع المقبل مع أمّه المغبوطة هيلانة لم يكن مجرّد عمل تحريريٍّ للمسيحيّة من جور الطغاة الرومان الذين نكّلوا بها على مدى ثلاثة قرون، بل كان

مَعَهنَّ* فأخرَجَ بُطرُسُ الجميعَ خارجًا وجثا على رُكبَتَيْهِ وصلّى. ثمَّ التفتَ إلى الجَسَدِ وقالَ يا طابيتا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصَرَت بُطرُسَ جَلسَت* فناولها يَدَهُ وأنهضَها. ثم دعا القدّيسينَ والأرامِلَ وأقامها لديهم حيَّةً* فشاعَ هذا الخبرُ في يافا كلِّها. فآمنَ كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥:١–١٥)

في ذلكَ الزمان صعِدَ يسوعُ إلى أورُشليم* وإنَّ في أورُشليم عند بابِ الغنَم بِرْكةً تُسمَّى بالعبرانية بَيْتَ حِسدا لها خمسةُ أروِقة* كان مضطجعًا فيها جمهورٌ كثيرٌ منَ المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريكَ الماءِ* لأنَّ ملاكًا كان ينزل أحيانًا في البِرْكَةِ ويحرّك الماءَ. والذي كان ينزلُ أولاً من بعدِ تحريكِ الماءِ كان يُبرأُ من أيّ مرضٍ اعتراهُ* وكان هناك إنسانٌ بهِ مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ لهُ زمانًا كثيرًا قال لهُ أتُريدُ أن تَبْرأَ* فأجابهُ المريضُ يا سيّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرّكَ الماءُ يُلقيني في البِرْكة بل بينما أكونُ آتيًا ينزِلُ قبلي آخَرُ* فقال لهُ يسوعُ قُمِ احمِلْ سريرَكَ وامشِ* فللوقت بَرِئَ الرجلُ وحمل

سريرَهُ ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّهُ سبتٌ فلا يحِلُّ لكَ أن تحمِلَ السريرَ* فأجابَهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَكَ وامش* فسألوهُ مَن هو الإنسانُ الذي قال لكَ إحملْ سريرَك وامش* أمَّا الذي شُفي فلم يكُن يعلمُ مَن هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكلِ فقال لهُ ها قد عُوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطِئُ لئَلاَّ يُصيبَكَ أشرُّ* فذهبَ ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأَهُ.

تأمل

سمعنا ان الذين بهم الأمراض والعاهات كانوا يتغرَّبون عن بلادهم ويهجرون أوطانهم وينفقون أموالهم ويكابدون مشقَّات عظيمة طالبين الشفاء من الأمراض المعترية أجسادهم الصائرة إلى التراب حتى ان هذا المخلِّع أقام لأجل ذلك عند تلك البركة كل هذه السنين. فكيف يسوغ لك يا هذا أن تتغافل عن العناية بأمر نفسك الخالدة العديمة الفساد. ولعلَّها تكون في الأكثر رمداء العين قريحة الكبد جرباء الجلد مخلَّعة المفاصل مشتملة على أيضًا اعترافًا بفشل هؤلاء الطغاة في اجتثاث المسيحيّة أو تطويعها لتصبح منسجمةً مع منطق السياسة الرومانيّة. على مشارف القرن الرابع، كانت المسيحيّة قد ضربت جذورها عميقًا في المجتمع الرومانيّ بحيث أنّ مرسوم ميلان أتى تتويجًا لغلبتها «اللاعنفيّة» على الوثنيّة، هذه الغلبة التي حقّقتها دماء آلاف المؤمنين الذين فضّلوا الاستشهاد على تقديم البخور للإمبراطور وآلهة دولته.

مدخل إلى رسالة بطرس الأولى

+ خلفية الرسالة:

من المرجح أن تكون الرسالة قد كُتبت في روما، المسمَّاة بابل (٥: ١٣) وقد كُتبت لتشجيع المسيحيين في مواجهتهم الضغوطات التي يجريها جيرانهم الأمميون (٤: ٤، ١٢؛ ٥:٩) أو الإضطهادات التي تنفذها ضدهم السلطات الرومانية لأنهم مسيحيون (٤:١٥–١٦).

تتوجه الرسالة إلى «المتغرّبين من شتات» آسيا الصغرى (١:١)، والواضح انهم في غالبيتهم مسيحيون من أصل أممي (٢:١٠؛٤: ٣).

لقد كُتبت هذه الرسالة لمواجهة الحاجات العملية، ولتشديد المؤمنين في مواجهة الآلام، لذلك اعتُبرت «رسالة تعليمية» تدعو المؤمنين إلى التشبّه بالرب يسوع: «كما اشتركتم في آلامِ المسيحِ افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضًا مبتهجين» (٤:١٣)، «فإنَّ المسيحَ أيضًا تألَّمَ مرَّةً واحدةً من أجلِ الخطايا،البارُّ من أجل الأثَمَةِ لكي يُقرِّبنا إلى اللهِ مُماتًا في الجسدِ ولكن مُحْيىً في الروحِ» (٣: ١٨).

+ تعليم الرسالة:

– المبدأ الذي ينطلق منه كاتب الرسالة والذي يردّده بعد ذلك في رسالته هو ان الإنسان المسيحي يحيا في هذا العالم كغريب (١:١،١٧؛ ٢: ١١). هذا لا يعني ان على المسيحيين أن ينفصلوا عن العالم جسديًا كونهم يحيون فيه، بل أن يتميَّزوا عنه روحيًا «مَبنيينَ كحجارةٍ حيَّةٍ بيتًا روحيًّا كهنوتًا مُقَدَّسًا لتقديمِ ذبائحَ روحيَّةٍ مقبولةٍ عندَ اللهِ بيسوعَ المسيحِ» (٢: ٥).

– بالمعمودية يلدنا الله ثانية (٣:١:٢١،٣، ٢٣) ويدعونا إلى القداسة، أي أن نكون قديسين على مثاله (١:١٥–١٦). ليس لنا في ذلك خيار، بل علينا أن نطيع الله ونطهِّر نفوسنا (١:٢٢)، لأن الله اقتنانا لنفسه، لا بمال، ولكن «بدمٍ كريمٍ كما مِنْ حَمَلٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ دمِ المسيحِ» (١:١٩).

– تقتضي حياة القداسة هذه أن يطرح الإنسان المسيحي «كلّ خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمَّة» (٢:١) وأن لا يسلك «في الدَّعارةِ والشهواتِ وإدمانِ الخمرِ والبَطَرِ والمُنادماتِ وعِبادَةِ الأوثانِ المُحَرَّمةِ» (٤:٣)، بل أن يحيا وفقًا لإرادة الله (٤:٢).

– هذه الحياة الجديدة تعرِّض المؤمنين المسيحيين لضغوطات من المحيطين بهم، إذ إن نمط الحياة المسيحية ينفِّر الأمم ويولّد لديهم ردّات فعل عدوانية (٤:٤). ومع أن المسيحيين مدعوون للعيش حياة صالحة ومستقيمة في مجتمعهم، إلا أنهم سيتألمون بسبب علاقتهم بالله وسينالون النعمة عند الله إن صبروا على هذه الآلام (٢:٢٠) وإذا كانوا يتألمون وهم عاملون الخير. والمسيحيون مدعوون لتلك الآلام لأن الرب يسوع نفسه تألم ظلمًا (٤:٢١–٢٥).

– غير أن هذه الآلام ليست فقط نتيجة تصرّف المسيحيين في المجتمع، بل هي عنصر أساسي من الوجود المسيحي لأنها بحسب مشيئة الله (٣:١٧؛٤:١٩). فالآلام هي امتحان للإيمان (١:٦–٧:٤؛١٢)، وهي الطريق إلى المجد (١:١١؛ ٤:١٣؛٥:١). كما أن «من تألم في الجسد كُفَّ عن الخطيئة» (٤:١).

– ينتظر المسيحيون الخلاص الأخروي، أي الذي سيعلن في الزمان الأخير (١:٥،٩،١٠) ملقين رجاءهم على الله (١:١٣،٢١) ومستودعين «أنفسهم» كما لخالق أمين في عمل الخير» (٤:١٩).

– في انتظار الخلاص، وقد اقتربت نهاية كل شيء، يحث الكاتب المؤمنين قائلاً: «تعقلوا واصحوا للصلوات، ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا. كونوا مُضيفين بعضكم بعضًا بلا دمدمة. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضًا كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة. إن كان يتكلم أحدٌ فكأقوال الله، وإن كان يخدم أحدٌ فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجَّد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين . آمين» (٤: ٧–١١).

الأفكار الرديئة

إعلم يا أخي، اننا ما دمنا في هذه الحياة فنحن وسط فخاخ، فلننتبه لأنفسنا دائمًا لئلا نقع في فخ الموت. إن فخاخ العدوّ مليئة بالحلاوة، وإنه يصليها ويخبئها عنا لكي نقع فيها وننقاد إلى العذاب الأبدي. إنه مضرٌ جدًا أن نفكر أفكارًا سيئة ونستسلم لها وندعها تتسرب إلينا.

فلا نستسلمنّ لحلاوة فخاخ الموت، ولا ننجذبنّ بهجس الأفكار السيئة فإذا وجد الفكر السيِّئ مدخلاً إلى النفس يحلّي حاستها بالتفكير السيِّئ ويصبح هذا التفكير مثل فخ مميت إذا لم يُطرد بالصلاة والدموع.

ينبغي ألاّ نسترخي بهجس الأفكار السيئة بل أن نلجأ إلى الله بالزفرات والدموع لكي ننجو من جميع عثرات العدو وفخاخه.

لا تَنْجَذِب يا أخي ولا تَمِلْ نحو الأفكار المداهمة إياك، إنها بداية الجهاد، تذكر البئر الشتوي لتدرك ما أقوله لك، فإنه عندما تُمطرُ السماء ويمتلئ البئر بالماء المبارك يكون في البداية عكرًا. لكنه لا يلبث أن يصبح صافيًا ونقيًا. كذلك أنت يا عزيزي، لا تخف في البداية. فقد كُتب «أنهارُ الأثم أرعبتني» (مز ١٧:٥)، وأيضًا: «الله ملجأ وقوة لنا وعون في الأحزان المحيقة بنا، لذلك لا نخاف إذا ارتجت الأرض» (مز ٤٥:٢–٣).

عندما يساور ذهنك فكر سيّئ، اصرخ إلى الرب بدموع وقل: اغفر لي يا رب، أنا الخاطئ، واطرد عني الشرير. لأن الله عارف القلوب ويعرفُ الأفكار التي تصدر عن النية السيئة والأفكار التي تبّثها فينا الشياطين الرديئة. واعلم أيضًا انك بمقدار ما تجاهد وتصبر في عبادة الرب، يتنقى ذهنك وتتطهر أفكارك. فقد قال الرب: «كل غصن فيّ لا يأتي بثمر أنزعه، وكل غصن يأتي بثمر أنقّيه ليأتي بثمر أكثر» (يو ١٥:٢). أما أنت فيكفيك أن تريد خلاص نفسك، لأن الرب إنما يساهم في خلاص أولئك الذين يسعون.

القديس أفرام السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

على أنواع الأسقام وأنت لا تنظر إلى أمراضها وتهتمُّ بمداواتها. وكيف تكون مؤمنًا بالمسيح ومولودًا من الماءِ والروح ومعترفًا بقيامة الأموات ومؤمّلاً سعادة الأبد ومتقلدًا بسلاح النصرانية وتفعل ما لا تفعله الخوارج. وإذا كان ربنا له المجد شرط على الذين يطلبون الملكوت وأن يزيد برُّهم على الكتبة والفريسيين وهم كانوا يقومون بالعشور ويحملون الأبكار والنذور ويصومون كثيرًا ويقدّمون القرابين عن خطاياهم فكيف يوجد بينكم الآن المهملون أنفسهم والسائرون بهوى قلوبهم الذين يتلقَّبون بالنصرانية فقط وهم غير عاملين بالوصايا المسيحية بل يرتكبون أكثر الخطايا؟وإذا كان الله قد عاتب العُتاة والغلاظ الرقاب والغُلف القلوب على تعدّي الشريعة بالعقاب الشديد فبماذا عساهُ يعاقب الخطأة من المؤمنين؟... اسمعوا قول الرب... لأنه يحاكم سكَّان الأرض لعدم الاستقامة والعدل ولِما كثُرَ بينهم من اللعن والكذب والقتل والزنى واختلاط الدم بالدم. ولذلك تتبلبل الأرض وينوح جميع سكانها... لأن ليس من يقضي بالحق ولا يبكّت.

القديس يوحنا الذهبي الفم